

شعب منطقتنا يين واقعها وأحلامها

عبد الباسط سيدا

علاقات أعضائه مع جميع القوى الإقليمية، واستناداً إلى الإمكhanات الاقتصادية التي يمتلكها، والمشاريع الاستثمارية التي يمكن أن يتشارك فيها على أساس المصالح المتبادلة مع دول المنطقة، بل على المستوى الدولي، يستطيع أن يكون بوابة خروج دول المنطقة ومجتمعاتها من أزماتها الداخلية والإقليمية، ويكون رافعةً تنهض بالمنطقة، وتتمكنها من امتلاك شروط التقدم الاقتصادي الذي سيضمن فرص التعليم والعمل لأجيالنا المقبلة، وهذا ما سيحقق للتوازن الاجتماعي وال النفسي، ويقطع الطريق أمام نزعات التشدد والتطرف والإرهاب. ولكن هذا وحده لا يكفي، بل المنطقة في حاجةٍ ماسةٍ إلى معالجة قضائهاها الداخلية، وإيجاد الحلول الممكنة لمشكلات المزمنة. ويُشار هنا، بصورة خاصة، إلى القضية الفلسطينية، وكذلك القضية الكردية، والخلافات المذهبية، ولا سيما بين الشيعة والسنّة، بالإضافة إلى قضية القضايا والخلافات التي يمكن إيجاد الحلول لها إذا ما جرى التعامل معها بعقل وقلب مفتوحين.

تحتاج منطقتنا مبادرة شجاعة، واضحة، تدعو إلى تحديد نقاط الخلافات المعالجتها، وتجاوزها، والتركيز على نقاط التوافق والمصالح المشتركة، للبناء عليها، وتطويرها. هذه المبادرة يستطيع مجلس التعاون الخليجي، المتماسك المتفهم، أن يترجمها على أرضية الواقع، عبر الدعوة إلى لقاء أو مؤتمر عام للتعاون إقليمي مثلًا، يكون إطاراً عاماً لتفعيل لحوارات ومبادرات بين مختلف الفعاليات الاقتصادية والعلمية والثقافية بواسع معانها، فمبادرة كهذه يمكن أن تؤسس المرحلة الجديدة واعدة، تطمئن مجتمعات المنطقة، وتبعده عنها شبح المزيد من الانهيارات. كذلك من شأن هذه المبادرة ضمان مستقبل أفضل للجيل الشاب، والأجيال المقبلة، في مجتمعات المنطقة، أما الاستمرار في التخندقات والصراعات، فربما التحول مستقبلاً إلى أدوات في لعبة استقطاب دولي جديد، فهذا معناه قرن آخر، أو أكثر، من الصراعات العدمية العusive التي ستلتهم المزيد، ولن تحصل مجتمعاتنا منها، في نهاية المطاف، سوى للسراب والخراب. هل نحلم؟ ربما. لكن للأحلام المفتألة تظل، في جميع الأحوال، أفضل من العقلية الانتقامية السوداوية، ونهوياتها الهستيرية.

كاتب ورئيس سابق للمجلس الوطني السوري)

**لأزمة السورية ما
الت مسدودة الآفاق،
وكذلك الوضع في
لبنان، والعراق يعيش
على الحد الأدنى من
التوافق السلبي بين
لأمريكيين والإيرانيين**

تحتاج منطقتنا
مبادرة شجاعة،
اضحة، تدعى
لـ تحديد نقاط
الخلافات لمعالجتها،
تجاوزها

وهام التاريخ والأديولوجيا والعظمة
للفوودة، والتخلص من عقد الانتقام
بنزعات التموضع والسيطرة. مجلس
تعاون الخليجي، إذا تمكّن من تجاوز
خلافاته، ووْحد صفوّفه، وهذا ما نأمله،
يمتلك من القدرات المالية، والمؤهلات
السياسية والمعنوية ما تمكّنه من أداء
دور فاعل على صعيدأخذ زمام المبادرة
على المستوى الإقليمي، ودعوة جميع
قوى الأساسية في الإقليم إلى الحوار
التفاهم، وأخذ القرارات الصعبة التي لا
مد منها للانتقال إلى مرحلة جديدة بعقلية
جديدة، وأولويات جديدة تتفصل حول
مستقبل الأجيال المقبلة، وتقطع مع العقلية
اللاضوية التي لم تجلب مجتمعاتنا سوى
نكوارت. إذا ما تجاوز خلافاته التي غالباً
ما تؤدي إلى سياسات ارتجالية وردود
فعّال لا تناسب مع الإمكانيات المنظرة،
مكّنه مجلس التعاون الخليجي، بحكم

صعيباتنا المشخصة. ولكنها حلول لا تبدأ من الصفر، بل تستلمهم الكثير من الأفكار والنماذج من تجارب قريبة هنا، أثبتت حاچها في ظروف باللغة التعقد.

قد أضرت الأيديولوجيات التعبوية للتجييشية بمنطقتنا كثيراً، وسيستمر فعلوها السلبي طالما توجد قوى تستفيد منها، وتسوّقها للنخبة على استبدادها لفسادها، وإخفاقها في تأمين المقدّمات الأساسية، والمستلزمات الضرورية، لتنمية حقّيقيّة تضمّن مستقبلاً أفضل للأجيال المُقبلة، فالآيديولوجيات المذهبية والقومية واليسارية، بسمائتها المختلفة، استخدمت في منطقتنا لتخليل الناس، وحشدهم في مواجهة «الآخر»، الخصم المتخيل. وكانت لـ«الحصيلة» سلسلة طويلة من المصادرات والصراعات والحرّوب. بل ما زالت هذه الصراعات والحرّوب مستمرة، وسيستمر تسلّك مزيّاً من الموارد، وتقوّك بنية جتمعات المنطقة الغنية بثرواتها، إمكاناتها البشرية.

تحتاج منطقتنا تفاهمات داخلية أساسها لمصالح المشتركة التي ستفتح الأبواب أمام مزيد من التفاهمات والتّفاعلات الإيجابية، وعلى جميع المستويات، خصوصاً الثقافية والمعرفية، والحضارية بصورة عامة. وقد يجاوز الأوروبيون عقدة الحرّوب المزمنة، والخلافات المستعصية، بمشروع اعتبر، في البداية، أنه مجرد حلم جميل، وقد تمثل في مشروع الفحم والصلب في 1951. ولكنه سرعان ما تطّور، حتى أصبحنا اليوم أمام اتحاد الأوروبي الذي يظل التكتل الأكثر انتاجاً واستقراراً وتأثيراً وديمقراطية، على الرغم من جميع التّغارات التي يعاني منها، بما الذي يمنع دول المنطقة من الاجتماع والتوافق على معالجة أسباب الخلاف عبر معالجة أوضاعها الداخلية أولاً، والتركيز على ميادين التعاون الاقتصادي لمصلحة الجميع؟

ما الاستمرار في إنتاج الفرّاعات، وتسييقها، واتخاذها مسوغاً مزيفاً من الإنفاق على التسلح، وزيادة أعداد الجيوش، وشراء مزيد من الأسلحة، ووضع لحسابات المفتوحة تحت تصرف الأجهزة المخابراتية والقمعية، فهذا لم، ولن، يمكن لمنطقة من بلوغ الأمان والاستقرار، وهذا لشيطان اللدان لا استغناء عنّهما في أي عملية تنمية حقيقية.

تضايا المنطقة معقدة، لا خلاف على ذلك. لكن إمكانات الحلول وإيجاد المخارج هي الأخرى كبيرة، شرط التحرّر من الأوهام:

من هاجس وجوديًّا مستدام، ما دامت لم تتمكن من الوصول إلى حلٍ واقعيٍ مقبولٍ في الجانب الفلسطيني.

في هذه الأجواء العاصفة المليبدة بالغيوم السوداء التي تُنذر بمزيدٍ من الكوارث، يأتي الحديث عن إمكانية الوصول إلى وافق خليجي بوساطة كويتية - أميركية؛ بما تؤدي إلى تجاوز الخلاف الحاد الذي سترعر، على غير العادة، بين قطر من جهة، كل من السعودية والبحرين والإمارات، معهم مصر، من جهة أخرى.

على الرغم من بذل الجهود من الأطراف الداخلية والإقليمية والدولية بهدف توصل إلى حلٍ ما في هذه الدولة أو تلك، فإنها تتخلل محاولات عقimة. لقد اتت قضايا المنطقة متداخلةٍ متشابكةٍ، مستخدماها القوى الإقليمية الأساسية، القوى الدولية، أوراق ضغط ومساومة، حقق بها المصالح، أو تساعدها في تجاوز رماتها الداخلية عبر عملية الركض نحو الأمام، وإلهاء الداخل بأخبار الانتصارات الخارجية.

شبه هذه الوضعية، إلى حد بعيد، بوضعية التي شهدتها أوروبا في المرحلة التي امتدت بين الحربين العالميتين اللتين سببا قتل عشرات الملايين من الضحايا، بدمارها هائلاً شمل العمران والإنسان، العلاقات بين المجتمعات والدول الأوروبيية. ولكن أوروبا استطاعت تجاوز الكوارث، حينما قطعت مع أيديولوجيات حقد والكراهية والسيطرة، وتجاوزت قالية المظلوميات و«الثارات»، وخضعت لخطق الحكمة والمصلحة والتزام الموجبات المطلوبة لتجاوز الماضي، والتوجه نحو مستقبل. وقد عرفت أوروبا هي الأخرى خلافات المذهبية والقومية، وكان يعتقد أن قضايا كثيرة لن تحل أبداً، ولكن حكمة تصميم على بلوغ الحلول الواقعية القبولة انتصرت، وجعلت الأوروبيين ضرب المثل في ميدان القدرة على تجاوز عقبات، والوصول إلى الحلول التي تكون في محلحة الجميع.

منطقتنا بحكم قربها الجغرافي من أوروبا، واستناداً إلى علاقاتها الوثيقة معها عبر القرون، وهي العلاقات التي أواحت بين الصراع والاحتلال والتفاهم، التحاور الحضاري، والتعاون الاقتصادي، يستطيع الاستفادة من التجارب الأوروبية غنية على مختلف الصعد، مع مراعاة صوصية مجتمعاتنا، وطبعية القضايا التي تؤرقنا، لتأيي الحلول منسجمة مع

ما تشهد من مواقفنا، منذ نحو عقد، حرب إقليمية شاملة، مع تدخل خارجي من أكبر قوتين عسكريتين في العالم، إلى جانب التدخل المباشر، أو غير المباشر، للقوى الدولية المتحالفه مع هذا المعسكر أو ذاك. وال الحرب الإقليمية هذه تأخذ أشكالاً عدّة، منها عسكرية ميدانية، ومنها مخابراتية، ومنها اقتصادية، ومنها مذهبية قومية. أما الحصيلة، فهي حطام بمعناه الكامل على صعيد الاتجاه والعمران والمستوى المعرفي والتقدم التكنولوجي، فموارد المنطقة البشرية والمالية تتعرض لنزفٍ كبير، والأثار التراجيدية لحروبها وتناثرها وصراعاتها مرشحة للاستمرار إلى ما شاء الله؛ هذا ما لم تأخذ القوى الإقليمية الأساسية قرارات التفاهم والتوفيق على إدارة الخلافات، واتخاذ القرارات الصعبة من أجل إيجاد المخرج للعقد المستعصية والمعادلات التي تبدو مستحيلة الحل.

الأزمة السورية ما زالت مسدودة الأفق، وكذلك الوضع في لبنان. أما العراق، فيعيش على الحد الأدنى من التوافق السلمي بين الأميركيان والإيرانيين. والوضع اليمني يات أشبه بالثقب الأسود الذي يبتلع الإمكانات من دون أي أثر، ويسبب مأساة إنسانية كبرى. ومصر تعاني من عدم قدرتها على تحقيق مصالحاتها الذاتية التي من شأنها الارتفاع بها إلى ما يتناسب مع حجمها وتاريخها ودورها الحضاري، الممكن والمنتظر. وتركيا تعاني من أوضاعها الداخلية، السياسية منها بين الحكومة والمعارضة، والاقتصادية التي تتمثل بتناكل قيمة الليرة، وتراجع الانتعاش الاقتصادي الذي كان واعداً في مرحلة من المراحل. هذا إلى جانب الإخفاق في التوصل إلى حل عادل مقبول للمسألة الكردية التي تظل القضية الوطنية الأكبر والأهم على مستوى الدولة والمجتمع في تركيا. وأيран تعاني من أوضاعها الداخلية المعقدة، فالنظام القائم هو في مواجهةٍ مع مختلف المكونات الإيرانية. كذلك فإنَّه في مواجهةٍ مع الإصلاحيين والمعارضين، الشباب والنساء، وفي مواجهةٍ مع الإصلاحيين الذين هم جزءٌ من النظام نفسه. أما إسرائيل، فهي الأخرى، على الرغم مما يbedo أنها قد استفادت كثيراً من الخراب الذي تعرضت له المنطقة، تعاني من خلافاتها البينية، كذلك فإنَّها تعاني

جراج «أراس» تحرّك الأوجاع التركية الـإيرانية

شیرین

يران منزعجة من
المكاسب التركية
على حدودها، وهي
مكاسب قومية
عامة واقتصادية.
إظهار أن جنوب
القوقاز بات ساحةً
ستراتيجيةً مهمةً
النسمة لتركيا

لقناعة التركية
ن التصعيد في
مثل هذه الظروف
إقليمية الصعبة
النسبة لأنقرة
طهران ليس في

مواقة وقراره، بل هي أيضًا في الوقت
ما جرى، والمكان والأجواء المحيطة به ترکياً
إيرانياً. ردّ الفعل الإيرانية السريعة
والغاضبة تقول إن أردوغان استفز
طهران، لأن الآيات التي ردّها تتحدث عن
ملكة النهر والأرض وأبراز القومية على
حساب التركيبة الحالية للدولة الإيرانية
وحدها ومعالها. إيران متزعجة من
النكسات التركية على حدودها، وهي
نكاسب قومية وأمنية واقتصادية، لاظهار
جنوب القوقاز بات ساحة استراتيجية
بالمقدمة بالنسبة لتركيا، وحيث تعيش إيران
على أervasاتها في هذه الأونة مع أبناء
ستعدادات أميركية لتنفيذ عملية عسكرية
واسعة ضدّها وضد مصالحها في المنطقة،
صحوبة بتصعيد إسرائيلي شبه يومي،
من خلال استهداف مواقعها وقياداتها
داخل إيران وخارجها. ويقلل إيران أيضًا
شعب ورقة الأقليات ضدّها، خصوصاً بعد
تداعي أحداث عام 2006 في شمال البلاد
بطابع استفزازي للقومية التركية الأذربيجانية،
وحيث جهود السلطات لمنع تحولها
إلى انفجار أكبر. كما أن إيران قلقة حيال
نسداد المعابر التجارية مع أرمينيا التي
فرضتها احتلال المناطق الحدودية بين
إيران وأذربيجان سنوات طويلة، ونجاح
باكو في تحريرها والسيطرة عليها. وتعد
وقفة الرئيس الأذري، إلهام علييف، على
جسر هودافرين الحدودي التاريخي، لتأمل
المكان بعد تحريره، رسالة إلى إيران بهذا
الاتجاه قبل أن تكون للجانب الأرماني، وما
يطلق طهران حينما هو ليس أبيات الشعر
التي ردّها أردوغان للشاعر الأذري بهتار
وهاب زاده، بل التوازنات العرقية الحساسة
في بنية إيران الداخلية، خصوصاً أن وزير
الخارجية الإيراني الأسبق، علي أكبر
صالحي، يقول إن 40% من الشعب الإيراني
هو من أصل أذري.

عاهدة عوسستان التي نصت على حروج مناطق كثيرة في منطقة القوقاز وأجزاء من سواحل بحر قزوين الغربية من سلطة إيران. ولكن بنود المعاهدة لم تصمد طويلاً مع اندلاع حرب عام 1826 بين الطرفين، تنتهي عند التوقيع على معاهدة «تركمان ساي»، والتي سلخت آخر أراضي القوقاز من إيران لصالح روسيا.

رمز مقاطع الشعر التي قرأها أردوغان من نهر أراس التاريخي إلى وحدة النهر التحسس على العقود الماضية التي تتحدث عن تمدد في أذربيجان الكبرى، فالنهر الذي ينبع من شرق الأناضول يشكل اليوم حدود الفاصلة بين دول عديدة يعبرها، هي تركيا وأرمانيا وأذربيجان وإيران، قيمته المائية ليست أكثر من أهميته تارikhية والدينية والحضارية، فهو رمز الأول لجنوب القوقاز وأذربيجان قبل فقتتها إلى ثلاثة أجزاء.

تهيئة مهمة على خط أنقرة - طهران في هذه المرحلة الصعبة التي تعيشها المنطقة، بانتظار الرئيس الأميركي الجديد، جو بايدن، وكيف سيتعامل مع البلدين، فلماذا ذهباً باتجاه تغيير علاقات حسن الجوار سبب مقطع من الشعر؟ حتى ولو أخذت سنار، فإن الجمر ما زال حامياً على ضفاف راس، وهو جاهز للتسبب في فيضانات مارفة مشحونة بأعباء ورواسب التاريخ الجغرافي المؤلمة، حيث شرارة واحدة تافية لتحريك المشاعر العرقية والقومية في العلاقات التركية الإيرانية، وحيث ثبت خيراً أن آثار الجروح لم تلتئم في جنوب القوقاز بعدما فرض على النهر سرم حدود رفوفضة من سكان ضفتى النهر الفاصل بين شمال أذربيجان وجنوبها، كما يقول قوميون الأتراك.

شكلة ليست في أن أردوغان يصر على إبراء الشعر، حتى ولو كان مكلفاً كما حدث عندما دخل السجن لأشهر بسبب ذلك في أواخر التسعينيات، أو أنه يقدم حياناً عواطفه ومزاجه الشخصي الذي طغى على السياسة والدبلوماسية في

وبناء تحمل إيماني سداسي جديد، يجمع تركيا وإيران وروسيا وأذربيجان وأرمينيا وجورجيا، لكنه لا يتردد في قراءة أبيات من الشعر الأذري التأريخي الذي يمس عصب النقاط الأكثر حساسية بالنسبة للإيرانيين والأتراك الأذريين. يعلن استعداد بلاده لفتح الحدود مع أرمينيا في إطار تفاهمات جديدة، لكنه **يُغضب** طهران، عندما يذكرها بالوضعية القديمة لنهر راس الشاهد على العصور. ناهيك عن أن الخلاف التركي الإيراني ينتظره ويريده حتى لا يغبن إقليميون كثيرون، خصوصاً من يدعم مواجهتهم في المنطقة، تحت عنوان دعم الاعتدال في مواجهة «المشروع المذهبى الإيرانى والأصولى التركى».

قراءة أردوغان لأبيات الشعر عادة قديمة فيه، لا يتخلى عنها، حتى ولو كفته السجن كما حدث قبل 22 عاماً. ذهب للمشاركة في حفلات النصر الأذري-أذربيجانية، واستمراراً راضٌ كانت القوات ببرزة تاريخية قديمة، ومن فاعشل النار بين العالقات بين العالمين، التركي والإيراني. أراد أن يكسب أكثر محبة الشعب الأذري-أذربيجاني، فاغضب إيرانيين أكثر، بعد بروز سيناريو الاختراق التركي للمنطقة، وتراجع نفوذهם في القوقاز، والسير في المجهول، عبر تقاسم الكعكة تركيا وروسيا على حسابهم هناك. وبالتالي، لم تستمر ظاهراتلاحتجاج الإيرانية أمام القنصلية التركية في تبريز طويلاً، بعد قرار الهدنة والتهدئة على خط أنقرة - طهران، لكن الرسالة التركية إلى إيران لن تتغير، أن أراس النهر قد يفصل بين الدول، لكنه لن يفصل بين الشعوب والقوميات والأعراق مهما طال الزمن.. . كلام لم يقله أردوغان، لكنه أوضح لإيرانيين أنه يعرف جيداً كيف يتعامل مع الإقصى المجروح، وهي رسالة تصفية حسابات في جنوب القوقاز، وبعد فشل رهان طهران على جبهة الصمود والتصدى لأرمنية في كاراباخ.

(كاتب وأستاذ جامعي تركي)

لإيرانيين سببه القلق من احتمالات تحول
الي الموقف التركية، إذا ما قررت واشنطن
وجيه ضربة عسكرية لإيران، وأن التوتر
الأخير مؤشر على ذلك. واردوغان يمد يده
من باكونو نحو المصالحة في جنوب القوقاز،

المكاتب ■ **المكتب الرئيسي، لندن** ■ **London, NW 10 7FY**
el: 00442071480366 ■ **مكتب الدوحة** ■ **الدوحة - الدفنه - بـ**

تدبر ارنست خوري ■ **فرحانات** ■ **الاقتصاد**
رويش ■ **منوعات** ■ **يوسف حاج علي** ■
مراسلون نزار قنديه

نائب رئيس التحرير حسام كتفاني ■ مهند
المدير الفني إميمل منعم ■ السياسة جد
مصطففي عبد السلام ■ الثقافة نجوان
ليايك دداد ■ الرأي معن البيارى ■ المجتمع
الرياضة نبيل التليلي ■ تحقيقات محمد عزرا